محدّدات الفكر السياسي للعرب في اسرائيل

محمد خالد الأزهري

باحث بالمجلس الاعلى للتربية والثقافة والعلوم
بمنظمة التحرير الفلسطينية

الفكر السياسي، بصفة عامة، هو ذلك الانتاج الفكري الذي يسعى الى معالجة الظواهر السياسية وتفسيرها. ويُفترض، من الناحية المنطقية، ان هذا الانتاج، شأنه شأن كل فكر انساني، ليس مجرد تصوّرات واجتهادات نظرية، لكنه يعكس الظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية التي يتبلور في إطارها. وعلى ذلك، فان الفكر السياسي ليس نتاجاً دوغمائياً جامداً، بل ان قيمته تتحدّد بقدرته على التعبير عن خلفية، هي، بطبيعتها، عرضة للتغيّر[١]. كما تتصاعد أهمية هذا الفكر، حين يتمّ تبنّيه من جانب أطر تنظيمية معيّنة داخل الجماعة، بحيث يصبح بمثابة المرشد وأساس المواقف الفعلية.

انطلاقاً من هذا المعنى، هل يمكن الحديث عن فكر سياسي للجماعة الفلسطينية التي تعيش في اسرائيل منذ العام ١٩٤٨؟

تفترض هذه المعالجة امكان حدوث مثل هذا الامر، بحكم «ان أية جماعة وطنية (أو قومية) لها فكرها السياسي النابع من ظروفها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، وان كل مجتمع له خصائصه الذاتية، مهما كان عدد أفراده، لا بدّ له من التأمل في القواعد التي ينبغي ان تحكمه وتنظم أموره»[٢]. كذلك، فانه من الجائز، تماماً، ان تنفرد احدى القوى أو الحركات السياسية، داخل الجماعة الوطنية أو القومية الواحدة، بتصوّرات فكرية ـ سياسية خاصة بها، وإنْ تقاطعت هذه التصوّرات، مع رؤى شبيهة لقوى وحركات أخرىٰ، داخل تلك الجماعة. فليس من الغريب، ان يكون لقوة سياسية أو حتى لجماعة معيّنة، تفسيراتها الخاصة للظواهر السياسية، أو منهجها الخاص في التعامل مع الاشكاليات والقضايا المطروحة على المجتمع. ولهذا، يعتبر الفكر السياسي من أكثر جوانب الفكر الانساني تنوّعاً ونسبية وتعدّداً في المذاهب ووجهات النظر، لأنه يتصل بالقيم والقضايا الأعمق غوراً في حياة الأفراد والجماعات على اختلافهم، كالحرية، والديمقراطية، والقوانين، وكيفية فضّ النزاعات، وتوزيع الثروة داخل الجماعة الواحدة أو بين الجماعات، والعلاقة بين الحكام والمحكومين[٣].

من المتصوّر ان هذا التحليل يصدق، تماماً، على العرب في اسرائيل، كجماعة وطنية ـ قومية، لها أوضاعها وامتداداتها التاريخية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية المغايرة للمجتمع الاسرائيلي الحاكم. وقد يكون من المثير، انه يمكن التحدّث، في الوقت الحاضر، عن فكر سياسي للعرب في اسرائيل، له خصائصه المختلفة، نسبياً، عن الفكر السياسي الفلسطيني بالمعنى العام، تأسيساً على ان